نبوليون من الفشل الذي اصابهُ لكنهُ لم يكن مستعدًّا للحرب وكانت النمسا اكثر استعدادًا منهُ وحاولت هي وبروسيا ان تقنعا الباب العالي ليقبل البنود الاربعة التي رفضتها اولاً واكَّدتا لهُ ان مقاصد روسيا سلمية كلها لكن انكلترا وفرنسا لم تشاركاهما في ذلك كأنَّ يداً خفية كانت فيهما تدفعهما الى الحرب

وثارت الخواطر في الاستانة واجتمع السفطا امام الباب العالي وطلبوا من مجلس الوكلاء ان يسرع في اعلان الحرب على الروس . وجمع السلطان مجلس الوكلاء في ٢٤ سبتمبر في سراي چراغان فنظروا في لائحة الدول ورفضوها وامر ان يجتمع المجلس الاعلى في اليوم الثاني في الباب العالي فاجتمع فيهِ ١٦٢ من نخبة رجال الدولة وبحثوا وتذاكروا طويلاً فاقرَّ ١٦ منهم على الحرب اما السلطان فتوقف ثلاثة ايام وفي التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٥٣ صدرت ارادتهُ مصدقة على قرار المجلس الاعلى وارسلت الى القائد العام في الروملي وفي الثامن من اكتوبر طلب المشير عمر باشا من الجنرال كورتشاكوف ان يخرج من الاملاك العثمانية في خمسة عشر يوماً واستدعى السلطان العمارة الانكليزية والعمارة الفرنسوية من خليج بيكا فعبرتا الدردنيل ومرتا امام الاستانة ورستا في البسفور الاَّ ان حرب القرم لم تبتدئ حينئذٍ بل تأخرت اياماً وسيأتي الكلام عليها وعلى نتائجها

مستقبل الزنوج

لما نشرنا ما خلصهُ حضرة صلاحه افندي موسى من روايات ولس وعقَّبنا عليهِ ولاسيما على ما قالهُ عن منع تناسل الزنوج قلنا « ان هذه الامور لا يمكن الحكم فيها بمجرَّد الرأي والاقيسة العقلية بل لا بدَّ فيها من استقراء احوال الامم وتأثير هذا الامر او ذاك فيها » وقلنا قبل ذلك « كم من اسود يفوق البيض في آدابهِ واخلاقهِ حتى في الولايات المتحدة »

لما قلنا هذا القول وذاك كنا نرى بعين الخيال بعض السود الذين عرفناهم وهم من اهل العلم والفضل او الذين قرأنا عنهم وهم من نوابغ الرجال في كل عصر . فنجد في ليل السود المدلهم بارقة امل واشعة فجر تنبئ ان شمس العمران قد تطلع على ربوعهم كما طلعت على غيرها . وقد قرأنا الآن مقالة لاكبر رحالة افريقي وهو السر هنري جستن الذي يعدهُ ثقةً في كل المسائل الافريقية فرأيتا فيها ادلة كثيرة على تأييد ما ذكرناهُ قال

لا يمرُّ شهر الاَّ وتنشر مقالات كثيرة في مدح الزنوج او ذمهم وفي التهجُّم عليهم او

الدفاع عنهم في اميركا وانكلترا وفرنسا والمانيا وجنوبي افريقية وسيبيريا وبرازيل

وعدد الزنوج في افريقية واميركا نحو مئتي مليون ولكن البيض يهتمون بهم الآن اكثر مما يهتمون بالمغول سكان اسيا وهم خمس مئة مليون

وقد وُصف الزنجي بالكسل منذ ثلاثمائة سنة الى الآن والوصف باطل فقد اثبت احد الكتاب الفرنسويين بالاحصاء ان الصيني يعمل ١٥٠ يوماً في السنة لاغير والهندي ٢٢٠ يوماً واما الزنجي الافريقي فيعمل ٢٨٠ يوماً ولاسيما اذا كان عملهُ الفلاحة

وثبت الآن ان الزنجي اصلح من غيره للجندية فاذا أُحسن تدريبهُ وأُحسنت قيادتهُ فلا اخضع منهُ ولا اشجع . وثبت في مدارس تسكيجي وهمتن الصناعية ومدارس المرسلين التي من نوعها ان الزنوج يتعلمون كل الصنائع و يمهرون فيها كالبناء والنجدين والملاحة والخياطة وكل ما يقتضي دقة في الصناعة او قوة بدنية عظيمة

والزنوج يفلحون في الاعمال كلها اذا كانوا احراراً يعملون بها لانفسهم او مأجورين كالبيض اكثر مما يفلحون اذا كانوا عبيداً او مستخدمين كما يظهر من فلاح كل الاعمال بعد تحرير العبيد في اميركا وفي غيرها من البلدان التي كانت تعتمد في اعمالها على الرقيق

ومن مزايا الزنوج عموماً انهم يقلدون الامة التي تتصل بهم اذا كانت ارقى منهم تقليداً تاماً . فاذا اتصل بهم العرب قلدوهم في المأكل والمشرب والملبس والعادات . واذا اتصل بهم الاوربيون قلدوهم في ذلك كله ولا يكتفون الاَّ بالتقليد التام . ترى التونسي والمغربي والفارسي في بلاد الانكليز بجبتهِ وعمتهِ يسير الهوينا كأنهُ يحتقر ملابس الاوربيين او يرى نفسهُ غير كفء للبسها مع انهُ مثل الاوربي في لونهِ وملامحهِ واذا لبس شيئاً من ملابسهم فالبطلون يخفيهِ تحت الجبة ترفُّعاً او تهيُّباً . وترى هناك الزنجي من قلب افريقية بلونهِ الاسود وانفهِ الافطس وشعرهِ المتفلفل وهو بالزي الاوربي على آخر زي (موده) والبرنيطة العالية . فهو من هذا القبيل كاليباني الذي لم يكتفِ بان اقتبس شيئاً وترك شيئاً بل قلد الاوربيين في كل شيء دفعةً واحدة اي انهُ اقتبس العمران الاوربي بكل تفاصيلهِ في العلوم والفنون والصنائع والملابس والمساكن والاسلحة وتنظيم الجيوش البرية والبحرية وبناء السفن الحربية والتجارية . فترى امبراطور اليابان ووزراءهُ وسفراءهُ وقوادهُ وجنودهُ وتجار بلادهِ كل هؤلاء ونساؤهم بالملابس الاوربية واسلحتهم مثل اسلحة الاوربيين ومعاملهم مثل معاملهم ومراكبهم مثل مراكبهم وبوارجهم مثل بوارجهم ولم يبقَ الاَّ ان يدينوا كلهم بدين الاوربيين فيصيروا مثلهم في كل شيء . ولو تجرَّدت الديانة المسيحية من رسومها وطقوسها حتى صارت

مذاهبها المختلفة مذهباً واحداً لسهل على اليابانيين اعتناقها

والظاهر ان الزنوج الذين تعلموا وتثقفوا يتوون الآن ان يستحيضوا عما فاتهم في عصر الجاهلية . وهم ميالون الى التدين طبعاً فالمرسلون بينهم ولاسيما بعد ان صار المرسلون يهتمون بتعليمهم ما يلزم لمعيشتهم وراحتهم ورفاهتهم كالفلاحة والصناعة على انواعها وتدبير الصحة وتربية الاطفال ويساعدونهم على تهذيب اخلاقهم وابتعادهم عن شرب المسكرات وارتكاب المنكرات . ولا مشاحة ان اكثر هم المرسلين في هذا العصر مصروف الى تهذيب الاخلاق وتعليم الناس ما ينفعهم ويمنع الضرر عنهم

قال السر هري جنستن انهُ رأى في الولايات الجنوبية من اميركا الشمالية ان الوعظ في كل الكنائس الكاثوليكية كان في احد من الآحاد في موضوع واحد وهو طبائع الحشرات المعروفة بخنافس كولورادو التي تتلف زراعة البطاطس ونحوها من المزروعات والغرض من ذلك تعليم سكان تلك الولايات كيف يدرأون الضرر عنهم . ويظهر مما نشر من تلك العظات في الجرائد ان خدمة الدين الكاثوليكي كلهم يعرفون علم الحشرات ويعرفون كيف يوصلون معارفهم الى اذهان العامة ويفيدونهم بها . فقد احسن اولئك القسوس صنعاً وحبذا لو اقتدى بهم كل خدمة الدين

ويظهر لنا من الحديث مع المستر روزفلت وغيره من الذين دخلوا قلب افريقية ان اعمال المرسلين هناك مقرونة بالنجاح التام من حيث تعليم الاهالي طرق الزراعة وبعض الصنائع اللازمة لهم . واذا كانت سيرة المرسلين مطابقة لتعاليمهم وسيرة غيرهم من الاوربيين مطابقة لها ايضاً فلا اسهل من تمدين الزنوج وتهذيبهم ولكن اذا كانت سيرة الاوربيين مخالفة لما يعلمون به فيسلكون مع الزنوج كأنهم من جبلة اخرى غير جبلتهم وانهم ليسوا والزنوج من دم واحد ولا في مرتبة واحدة امام الخالق فيستحيل على الزنوج ان يوانوهم ويستفيدوا منهم ولا يبعد ان يزيدوا بعداً عنهم وكرهاً لهم

وما يقال عن الزنوج يقال عن الصفر وعن كل الامم فان الطريق الوحيد لجعلهم يثقون بك ويقتفون خطواتك هو ان تساويهم بنفسك ولا ترفع عليهم . ولو جرى الناس كلهم على هذه القاعدة لرأوا ان كل طوائف الناس على اختلاف اشكالها والوانها اقرب الى التماثل مما يظن وانها كلها تسير في سبل العمران على حدٍ سوى فيقوم في كل طائفة ناس متفاضلون في العقول والهمم وقد لا يكون متوسط قوى الامة الواحدة مساوياً لمتوسط قوى الامة الاخرى ولكن لا يكون الفرق بين المتوسطين كبيراً جداً